

الدولة . وساعد على إطالة عمرها أيضاً انشغال ملوك الفرنجة بتنظيم ما فتحوه من ممالك كانت تحت سلطة حكم المسلمين .

ولن يغفر التاريخ لآخر ملوك هذه الأسرة ، أبي عبد الله محمد ٨٧٧- ٨٨٨هـ / ١٤٧٢-١٤٨٢م ، ٨٩٢-٨٧٩هـ / ١٤٨٦-١٤٩١م . خيانتة للدعوة الإسلامية ؛ تحقيقاً لأطماع شخصية لم ينل منها شيئاً ؛ فقد تعاون مع فرديناند ملك قشتالة وزوجته إيزابيلا لإسقاط عمه محمد بن سعد المعروف بالزغل ٨٩٠-٨٩٢هـ / ١٤٨٤-١٤٨٦م ، طمعاً في الاحتفاظ بالحكم لنفسه ، وكانت جيوش أبي عبد الله محمد (الخائن) تتصدى لجيوش عمه كلما اتجهت تلك الجيوش للدفاع عن حصون المسلمين وبلادهم . ولما تم النصر للمسيحيين على عمه محمد بن سعد الزغل ارتكب أبشع حماقة حينما بعث يهنئ فرديناند بالنصر .

واضطر أبو عبد الله محمد (الخائن) آخر الأمر أن يسلم مفاتيح غرناطة آخر مدينة إسلامية بالأندلس لفرديناند عام ٨٩٧هـ / ١٤٩١م . وهاجر بعدها إلى إفريقية حيث أخذ يقضي باقي حياته على التسول والاستجداء .

السمح الخولاني:

السادس من ولاية الأندلس إبان الخلافة الأموية بالشام ، وهو السمع بن مالك الخولاني ، نسبة إلى بني خولان من قضاة ، ولاء عليها عمر بن عبد العزيز عام ١٠٠هـ / ٧١٨م ، خلفاً للحرث الثقفي الذي أعفاه عمر لسدّة عرفت عنه ، وكانت ولاية الأندلس حتى ذلك التاريخ تابعة لأمير إفريقية ، فهو الذي كان يعين والي الأندلس من قبله ، ثم يُقرّه الخليفة .

جاء السّمع إلى الأندلس في رمضان ١٠٠هـ/ أبريل ٧١٩م، فانصرف من فوره إلى فض الخلافات بين طوائف العرب والقضاء على الفتن، وأدار البلاد بحكمة وبصيرة، كما عُنِي بالتنظيم المالي فمّسح جميع الأراضي الزراعية التي ملكها المسلمون، وفرض عليها الخراج، وإليه تنسب قنطرة قرطبة على نهر الوادي الكبيرة والتي عرفت باسم (قنطرة الدهر) أو (الجسر)، وقد أقامها على الأكتاف الرومانية القديمة، طولها ٨٠ ذراعاً، وعرضها ٢٠ ذراعاً، وارتفاعها ٦٠ ذراعاً، ولها ١٨ قوساً.

واستعد السّمع لاستئناف الغزو وراء جبال البرانس في مقاطعة لانجدوك الفرنسية، وكان قد بدأه الحر الثّقفي فعبر البرانس عند (روسيون) واستعاد (أربونة) بعد حصار دام ٢٨ يوماً، ثم قام بتحسينها، كما استعاد (قرقسونة) وغيرها من مدن الإقليم، وأقام بها حكومات إسلامية.

ووزع الأراضي بين العرب والسكان، وفرض الجزية على النصارى، وترك لهم حرية الاحتكام إلى شرائعهم.

واتجه السّمع صوب الشرق إلى تولوز عاصمة إقليم (كونيه)، وقرب أسوارها التقى جيشاً يقوده الدوق أوتو، جمع فيه قوات من الفرنج والقوط والبشكنس، وفي قلب المعركة سقط السّمع من فوق جواده صريعاً، فكان ذلك سبباً في اختلال صفوف رجاله، مما اضطرهم إلى الارتداد عنها. جرت المعركة في التاسع من شهر يوليو عام ٧٢١م/ التاسع من ذي الحجة عام ١٠٢هـ، وهي التي عرفت باسم موقعة البلاط، وخلفه على القيادة عبد الرحمن الغافقي.